عمرو مجدي
ملك الجريمة

ملك الجريمة

عمرو مجدي

أبطال القصة

الاسم : سامي أحمد الجمل.. (بطل القصة)..

السن : ٣٠ سنة..

المهنة : محقق خاص..

الوصف : طويل القامة.. نحيف الجسد.. أبيض البشرة.. حليق الوجه.. أسود الشعر.. له أنف طويل مدبب.. (على درجة معقولة من الوسامة)..

الاسم : فتحي رافع..

السن : ٥٩ سنة..

المهنة : تاجر مخدرات / زعيم مافيا.. (ملقب بملك الجريمة)..

الوصف : متوسط الطول.. ذا جسد عضلي ضخم.. أبيض البشرة.. ذا شعر أسود طويل يصل إلى كتفيه.. له صوت أجش قوي..

الاسم : مصطفي يعقوب..

السن : ٧٠ سنة..

المهنـة : تـاجر مخـدرات / زعـيم مافيـا.. (ملقـب بـالزعيم الأوحد)..

الوصف : جسده يميـل إلى الطـول.. نحيـف الجسـد.. أبـيض البشرة.. مجعد الوجه.. له صوت هادئ مرعب يشبه فحـيح الأفعى..

الاسم : مراد أبو السعد..

السن : ٥٠ سنة

المهنة : مساعد فتحي رافع / عضـو مجلـس النـواب / وزيـر أسبق..

الوصف : ممتلئ الجسد قلـيلاً.. حليـق الـرأس والوجـه.. لـه وجه قمحي.. وصوته حاد..

الاسم : طارق عبد الحميد..

السن : ٥٥ سنة..

المهنة : مأمور سجن (الرتبة : عقيد)..

الوصف : متوسط الطول.. لا هو بـالنحيف ولا بالسـمين.. ذا شعر أشيب.. لـه شـارب عـادي.. وصـوته لـيس بـه أي نغـم مميز..

الاسم : محمد راغب..

السن : ٣٠ سنة..

المهنة : مساعد المحقق سامي الجمل.. (وصديقه المقرب)..

الوصـف : جسـده يميـل إلى الطـول قلـيلاً.. ذا شـعر أصـفر أشقر.. على درجة علية من الوسامة..

---

(١)

٢٠١٧/١١/١٢ الساعة الثانية عشرة منتصف الليل..

استيقظ سامي على صوت نباح مجموعة كبيرة من الكلاب الضالة.. كان صوتهم مزعجاً مرعباً لا يطاق.. تساءل سامي "ما الذي يحدث؟!".. لكن لا إجابة.. ظل هذا النباح قرابة الثلاث ساعات دون انفصال.. ثم ساد صمت مطبق.. كأن لم يكن هناك صوت من الأساس..

***

٢٠١٧/١١/١٣ الساعة الثانية عشرة منتصف الليل..

تكرر سيناريو الليلة الماضية.. اخترق سكون الليل نباح الكلاب الضالة.. الصوت المزعج نفسه.. الصداع نفسه.. الغضب نفسه.. ثم وبعد ساعات ثلاث.. هدوء تام.. لا حراك .. لا صوت.. لا كلاب..

***

٢٠١٧/١١/١٤ الساعة الثانية عشرة منتصف الليل..

"هذا يكفي!".. صاح بها سامي عندما استيقظ فزعاً لليلة الثالثة على التوالي.. "لابد أن هناك سر لنباح هذه الكلاب.. وسأكتشف ما هو".. قالها واتجه مسرعاً نحو الهاتف..

***

في صباح اليوم التالي..

رن جرس الباب.. استيقظ سامي على غير رغبة منه.. كان الواقف أمام بابه هو صديقه القديم.. (محمد راغب)..

"مرحباً يا سامي"..

فرك سامي عينيه.. قال وهو يتثاءب : "أهلاً يا محمد.. هلم إلى الداخل"..

وهو يخطو خلف سامي من الباب الخشبي ذا اللون البني الداكن.. قال محمد : "يبدو أنك لم تنم جيداً ليلة أمس!"..

"وهل استطاع أحد في محيط تلك المنطقة كلها أن ينام في الليالي الثلاث الماضية؟!"..

"الحق ما تقول يا صديقي.. نباح الكلاب لم يكن مزعجاً فحسب.. بل كان مفزعاً.. مفزعاً بحق"..

دخل سامي المطبخ.. فتبعه محمد..

"لقد عزمت على اكتشاف السر الذي يجعل الكلاب تصدر كل تلك الجلبة.. لهذا اتصلت بك بالأمس"..

"بعض الناس يقولون أن هذا من عمل الشياطين.. والدليل أنهم يصمتون تماماً قبيل الفجر بلحظات"..

ابتسم سامي ساخراً : "وما رأيك أنت يا محمد؟"..

بتردد قال : "الشياطين موجودة بالفعل.. أليس كذلك؟"..

"إذاً أنت تظن مثلهم أن هذا من فعل الشياطين؟!"..

"ماذا يجول في خاطرك يا سامي؟"..

"بصراحة يا صديقي.. لا أصدق أن هذا فعل غير انساني.. بل هو فعل مقصود ولا شك.. هناك سبب معقول لنباح الكلاب.. وغاية مقصودة من وراءه"..

"إذاً لا أبالسة في تلك القضية؟"..

"بل على العكس تماماً يا صديقي.. هناك أبالسة.. لكنها ليست من أبالسة الجان.. بل هي من بني الإنس.. وأبالسة الإنس يا محمد يمكنها فعل ما لا يمكن لأبالسة الجان أن تفعله"..

"هل اكتشفت شيئاً يا سامي؟"..

"ليس بعد يا صديقي.. ليس بعد"..

***

في مساء هذه الليلة.. في ذات الوقت..

عاد النباح من جديد.. ففزع محمد من نومه.. رأى سامي واقفاً أمام النافذة ممسكاً بمنظاره المعظّم.. ينظر إلى شيء ما..

"إلام تنظر يا سامي؟"..

"بسرعة يا محمد.. ارتدي معطفك واتبعني".. هتف بها وهو يهرع إلى الباب.. ثم خرج دون أن ينتظر نهوض محمد من الفراش.. نهض محمد وهو يغمغم في ضيق : "ليتني ما وافقت على المبيت عندك هذه الليلة"..

ثم سمع صوت سامي يصيح به من الخارج : "أسرع يا محمد"..

"قادم"..

التقط محمد معطفه على عجل.. ارتداه وهو يقفز فوق درجات السلم..

"إلى أين سنذهب الآن يا سامي؟"..

إلى الأمام.. نحو هدف ما زال محمد يجهله.. أشار سامي قائلاً : "إلى هناك"..

وضع محمد يده على جبينه.. ودقق النظر : "هناك أين؟!"..

"هناك يا صديقي.. نحو السجن"..

"لكن نباح الكلاب..."..

"دعك من نباح الكلاب الآن.. إن الأمر أكبر وأخطر من ذلك بكثير.. هيا أحضر السيارة ولننطلق على الفور"..

امتثل محمد للأمر.. وأحضر السيارة.. وانطلقا هو وسامي..

نحو السجن..

"أسرع يا محمد.. أسرع"..

"اهدأ قليلاً يا سامي.. أنا أنطلق بأقصى سرعة ممكنة"..

ما كادت تصل السيارة أمام مبنى السجون.. حتى قفز سامي منها مسرعاً.. حتى قبل أن تتوقف بالكامل.. كان هناك عشرون كلباً على الأقل يقفون على مقربة من السجن.. وينبشون الأرض بأقدامهم في شراسة وغضب..

اتجه سامي نحو مبنى السجون الضخم.. وفجأة.. صاح به شخص من خلف بوابة هذا المبنى بأعلى صوته قائلاً : "اثبت مكانك وإلا أطلقت عليك الرصاص"..

تسمر سامي في مكانه.. وتبين من القائل.. فإذ به الجندي المكلف بالحراسة.. وكان مشيراً بالسلاح في يده إلى صدر سامي مباشرة.. تابع هذا الجندي قائلاً : "ما هي كلمة السر؟"..

"أنا لست من رجال الشرطة.. أنا المحقق سامي الجمل"..

"إجابة خاطئة.. عد من حيث أتيت وإلا أطلقت عليك الرصاص"..

"أنت لا تفهم..."..

قاطعه الجندي في حدة بالغة : "اذهب الآن قبل أن ينفد صبري"..

صاح سامي بأعلى صوته : "أيها الأحمق.. العقيد طارق عبد الحميد على وشك أن يموت"..

"ماذا تقصد؟!"..

"هناك من يسعى لاغتياله بينما أنت بغبائك تقف هنا وتثرثر معي"..

ارتبك الجندي.. وتلعثم وهو يسأل : "وما أدراني أنك تقول الحق؟"..

ضغط سامي على أسنانه بقوة.. كان الغضب بادٍ على وجهه : "ألم تراني من قبل في التلفاز ووسائل الإعلام المختلفة؟!.. أنا المحقق الشهير سامي الجمل.. ومهمتي في هذه الحياة كشف الحقائق.. ومنع الجرائم - قدر استطاعتي - قبل وقوعها.. وبغبائك هذا ستتسبب في وقوع جريمة قتل قائدك"..

زاد الارتباك أكثر على وجه الجندي فاستطرد سامي : "إن أصابه أذى.. فأنا سأحملك المسؤولية كاملة"..

"أنا آسف جداً".. وفتح البوابة وقال له : "تفضل.. لكن قبل ذلك.. أعطني بطاقتك لو سمحت"..

أخرج سامي بطاقته وألقاها في وجه هذا الجندي في غضب.. بينما كرر الجندي اعتذاره مرة أخرى ثم نادى على زميل له.. وطلب منه أن يصطحب سامي إلى مكتب العقيد طارق

في الحال.. كان محمد لا يـزال في السـيارة.. وقـرر أن ينتظـر سامي إلى أن يخرج..

***

(٢)

"ما الأمر يا أستاذ سامي؟.. هل حقاً يريد مجرم ما اغتيالي؟!"..

كان القائل هو العقيد طارق.. فقال سامي : "لا يا سيادة العقيد.. لقد اخترعت تلك القصة كي أقابلك الآن"..

قال العقيد بغضب : "وما الذي تريده مني في مثل هذا الوقت؟!"..

قال سامي بقلق : "اسمعني أرجوك.. ألم يتم القبض على المجرم الخطير (فتحي رافع) منذ خمسة أيام والزج به في هذا السجن؟"..

"نعم.. هذا صحيح"..

"أحسب أنكم وضعتموه في الزنزانة الموجودة تحت الأرض؟"..

اتسعت عينا العقيد في دهشة وهو يسأل سامي : "كيف علمت بأمر تلك الزنزانة؟! إنها سرية!"..

"لست أنا الوحيد الذي علم بأمرها في الواقع يا سيادة العقيد.. أتباع هذا المجرم علموا أيضاً بأمر تلك الزنزانة.. وهم يسعون الآن لتهريبه"..

أطلق العقيد ضحكة مدوية.. ثم قال وكله ثقة وفخر : "حتى ولو علموا بأمر تلك الزنزانة.. فلن يستطيعوا إخراجه منها.. هل تظن أن بإمكانهم اختراق النظام الأمني لهذا السجن؟!.. حتى لو افترضنا - مجرد افتراض - أنهم يستطيعون اختراق نظامه الأمني.. فهل تظن أنهم يستطيعون حقاً اختراق النظام الأمني لتلك الزنزانة؟!.. لقد تم تصميم تلك الزنزانة بطريقة تجعل من المستحيل الهرب منها.. إنها محصنة من الأمام.. ومن الخلف.. من اليمين.. ومن اليسار.. حتى سقفها محصن بشكل مبالغ فيه.. فكيف يمكنهم بالله عليك أن يخترقوها؟!!!"..

"من أسفلها!"..

"ماذا تعني؟"..

"أتظن أن هذا وقت مناسب للشرح؟!.. هيا بنا نمسك بأفراد تلك العصابة الخطيرة قبل أن يفلتوا من أيدينا.. وبعدها أشرح لك ما تريد معرفته"..

قال العقيد بسخرية : "اذهب يا شاطر والعب بعيداً عن هنا"..

"أقول لك أن أخطر مجرم في الشرق الأوسط سيهرب وأنت لا تحرك ساكناً؟!"..

نهض العقيد من مقعده وهو يقول متوعداً سامي : "أقسم بالله العظيم لو ثبت لي أن كلامك هذا غير صحيح.. فلسوف أزج بك في السجن بتهمة إزعاج السلطات.. وسأريك كيف تتم معاملة السجناء هنا"..

ثم خرج من مكتبه متجهاً نحو تلك الزنزانة.. يتبعه سامي وبعض الجنود.. لاحظ سامي كم أن تلك الزنزانة محصنة جيداً ضد الهرب.. ثم وبعد أن دخلوها نظر العقيد فإذ بفتحي ملتف بملاءة بيضاء على ذلك السرير الخشبي الموضوع في أقصى يسار الزنزانة"..

قال العقيد وعلى وجهه ابتسامة ساخرة : "أظن أنك سبحت في بحر خيالاتك أكثر من اللازم يا سامي!"..

تلفت سامي حوله ناظراً إلى كل شبر في الزنزانة.. ثم قال للعقيد : "هل يمكنك يا سيدي أن تذهب وتوقظ هذا المجرم؟"..

أشار العقيد لأحد الجنود أن يذهب لينزع الغطاء عن فتحي.. فأسرع سامي يقول : "من الأفضل أن تذهب أنت يا سيدي بنفسك"..

"لماذا؟"..

"سوف ترى"..

تنهد العقيد ثم قال : "حسناً".. وذهب نحو السرير الممدد عليه المجرم.. وكان عليه أن يمر على السجادة المفروشة على الأرض.. وما كاد يضع إحدى قدميه عليها.. حتى هوى في حفرة سحيقة في الأرض.. بسرعة اندفع الجنود نحوه.. كان ساقطاً على ظهره وهو يتأوه : "آه.. آه.. لقد كُسرت ساقي"..

فصاح سامي بأحد الجنود : "انزع الغطاء عن فتحي بسرعة"..

فأسرع ونزعه.. واتسعت عيناه دهشة لما رآه.. لقد كان ما تحت الغطاء مجرد وسادة..

"هيا.. أسرعوا بإخراج العقيد كي نتبعهم".. هتف بها سامي وكأنه هو الآمر الناهي.. لا العقيد طارق..

بسرعة أخرجوا العقيد من الحفرة.. وبقي معه أحد الجنود بينما نزل الباقون بقيادة سامي تلك الحفرة.. في الحقيقة.. لم

تكن مجرد حفرة عادية.. بل كـان نفـق.. نفـق ضـيق ممتـد للأمام مد بصرهم.. ساروا فيه تباعاً خلف بعضـهم الـبعض.. وبعد فـترة ليسـت بالطويلـة.. انعطفـوا حيـث تغـير اتجـاه النفق..

همـس أحـد الجنـود : "متـى وكيـف اسـتطاعوا حفـر هـذا ال...؟"..

همس سامي مقاطعـاً إيـاه في حـزم : "أصـمت وإلا افتضـح أمرنا"..

ظلوا يسيرون عـدة دقـائق.. إلى أن رأوا ضـوء أبـيض خافـت يصدر من الأمـام.. نظـر سـامي إلى الجنـود خلفـه.. ووضـع سبابته على فمه في أمر واضح بـأن يلتزمـوا الصـمت التـام.. اقترب من مصدر الضوء متسللاً.. وتبعه الجنود.. كان مصدر الضوء هو فتحة في أعلى النفق.. بطرف عينه اخـتلس نظـرة من هذه الفتحة.. فإذ بـه يـرى ذاك المجـرم المـدعو (فتحـي رافع).. وحوله عدد من الرجال.. خفض رأسه مسرعاً حتى لا يراه أحد.. لكنه أرهف لأذنيه السمع.. فسـمع فتحـي يقـول لأحدهم : "هل أحضرت القنابل يا مراد؟"..

"أجل يا سيدي"..

وفي لحظة واحدة.. استوعب سامي الموقف كله.. وعلم لماذا يحتاجون تلك القنابل.. ولم يبقى في مكانه ليسمع الباقي.. فقد أصدر أمره لبقية الجنود أن يرتدوا على أعقابهم بأقصى سرعة لأقدامهم.. فنكصوا مولين من حيث أتوا في الحال.. وما كاد آخرهم - أي سامي - يخرج من النفق حتى دوى صوت انفجار هائل.. اهتزت على إثره الأرض اهتزازة عنيفة.. تلاها مباشرة خروج لسان من اللهب من قلب النفق..

صاح العقيد في ذعر : "ماذا حدث؟!"..

لم يتلقى أية إجابة سوى نظرة قاسية من سامي.. ثم ران الصمت على المكان كله لبعض الوقت..

كسر العقيد حاجز الصمت هذا وهو يقول : "إذاً فر المجرم؟!"..

أومأ سامي برأسه إيجاباً ونظراته كأنها تقول للعقيد "أنت السبب".. ثم انصرف تاركاً العقيد خلفه يندب حظه..

***

كان محمد نائماً في السيارة خلف عجلة القيادة.. مردفاً رأسه إلى زجاج النافذة.. خرج سامي من السجن.. ثم ركب

السيارة.. وصفق الباب خلفه بقوة.. فزع محمد وصاح : "ماذا يحدث؟!".. ثم تنهد وقال : "هذا أنت يا سامي؟"..

لم يلتفت له سامي.. بل ظل يغمغم - محدثاً نفسه - في ضيق : "لو أن هؤلاء الحمقى لم يعيقوني من البداية لاستطعت أن أمنع هذا المجرم من الهرب"..

"ماذا هناك يا سامي؟"..

"انطلق يا محمد.. سأخبرك بما حدث في الطريق"..

***

(٣)

صباح اليوم التالي..

رن جرس الباب.. فقال سامي : "ادخل يا محمد.. الباب مفتوح"..

دلف محمد إلى الداخل.. فوجد سامي منشغلاً بكتابة شيء ما.. اقترب منه.. وألقى نظرة متفحصة.. كانت كتابته عبارة عن خربشات ورسوم ورموز لم يفهم محمد معناها..

"ماذا تفعل يا سا..."..

"شششش.. صمتاً يا محمد.. ألا ترى أنني أحاول التركيز هنا؟"..

أحضر محمد من مكتبة سامي كتاباً.. وجلس على كرسي موضوع في الجهة الأخرى من الطاولة.. وأخذ يطالعه في صمت.. وظل على هذه الحال إلى أن راح في نوم عميق..

فجأة صاح سامي : "وجدتها"..

تنبه محمد من نومه وسأله : "وجدت ماذا يا سامي؟"..

قال وهو متهلل الأسارير : "الخطة التي سنوقع بها فتحي وبقية أفراد العصابة"..

قال محمد بهدوء : "اسمع يا سامي.. دعنا ننسى أمر ذلك السفاح.. إنه ليس مجرماً عادياً على كل حال"..

استعاد سامي رزانته وهو يفكر ملياً في كلام صديقه محمد.. هو يدرك أن كلامه – للأسف – صحيح.. لكنه بعد برهة عاود التبسم وهو يقول ببساطة : "ولا أنا محقق عادي يا صديقي.. أم أنك نسيت؟"..

***

في مكتب العقيد طارق..

"كيف حال ساقك يا حضرة العقيد"..

رمقه العقيد بنظرة صارمة.. ثم قال بعد برهة : "الفضل لك في أن تُكسر"..

لم يستطع سامي – رغم أنه حاول كثيراً – منع نفسه من الضحك .. مما أثار حنق العقيد.. أما محمد فقد أسرّ الضحكة بداخله.. حتى لا يتسبب بإحراج العقيد.. ثم اصطنع – محمد – الجدية وهو يقول : "سامي.. إن هذا لا يليق"..

"معك حق يا صديقي.. أنا آسف حقاً يا سيادة العقيد"..

سأل العقيد : "لماذا أتيت إلى زيارتي الآن؟.. لتشمت؟"..

ابتسم سامي ابتسامة تنم عن سخرية وقال : "أنت بالتأكيد لست أذكى من قابلته؟"..

رمقه العقيد بنظرة حادة.. فأسرع يقول : "أعتذر منك .. لكن ما أود قوله أنني رجل عملي.. وما كنت سآتي لأرى وجهك السمح هذا إلا ولديّ خطة للقبض على هذا المجرم (فتحي رافع)"..

"خطة؟"..

"نعم يا حضرة العقيد.. خطة محكمة.. يمكنك أن تطمئن.. المجرم سيكون في السجن خلال أيام"..

"أتمنى هذا يا أستاذ سامي.. وأشكر لك مبادرتك النبيلة تلك.. خاصة بعد سخريتي منك في المرة الماضية"..

ابتسم سامي وقال : "لا تأبه بهذا الشأن.. لقد تعادلنا وانتهى الأمر"..

"ماذا تقصد بأننا تعادلنا؟"..

"أقصد أنك سخرت مني.. وأنا تسببت في كسر ساقك وبهذا نكون قد تعادلنا"..

"هل تعني أنك...؟"..

"نعم يا سيادة العقيد.. كنت أعلم أنهم غطوا مدخل النفق الذي صنعوه بتلك السجادة"..

فقال العقيد : "ومع ذلك تركتني أمر من فوقها دون حتى أن تحاول منعي.. "..

ثم أمسك بسامي من تلابيب معطفه وهو يقول : "يا لك من شيطان"..

قال سامي الذي لم تفارقه ابتسامته : "لا أظن أنك تريد أذيتي؟"..

"حقاً؟!"..

"حسناً.. لو آذيني فلن تتمكن أبداً من إعادة القبض على فتحي"..

أزاح يده عن سامي وهو يقول في مرارة : "حسناً.. سأدعك تساعدني في القبض عليه"..

ببرود مستفز قال سامي : "أظنك تقصد أنني (**أنا**) سأدعك تساعدني"..

"أنا.. أساعدك أنت؟!!!"..

"نعم.. فأنا أحب أن يذكر التاريخ أنني استطعت الإمساك بأخطر تتاجر مخدرات في الشرق الأوسط.. وإعادته إلى السجن"..

فقال العقيد : "ولكن...."..

"إن لم ترد أن تساعدني فلا بأس بذلك"..

تنهد في استسلام.. وقال في ضيق : "حسناً.. أنا موافق.. ما هي الخطة؟"..

فقال سامي : "سأخبرك.. ولكن ليس الآن"..

وأثناء عودة محمد وسامي إلى منزل هذا الأخير.. قال محمد : "لقد كنت قاسياً جداً مع العقيد طارق يا سامي"..

"انه يستحق أكثر من ذلك.. أنت لم تر كيف كان فظاً معي في المرة الأولى"..

"على كل حال.. ماذا تنوي أن تفعل؟.. بصراحة أنا قلق من خطتك هذه يا سامي"..

"لماذا يا صديقي؟"..

"إنها خيالية أكثر مما ينبغي"..

ابتسم سامي وقال : "هل هذا هو السبب الوحيد لقلقك؟!"..

"أليس سبباً مقنعاً في وجهة نظرك؟!"..

"بصراحة أنا أتعجب كثيراً من البشر.. لقد ميزنا الله (سبحانه وتعالى) بالعقل لنرتقي ونتطور ونقوم بأشياء غير مسبوقة.. لكننا لا نفعل سوى أننا نتبع خُطى من كان قبلنا ونقول على كل شيء جديد وكل طريق جديد أنه غير معقول.. وكل إنسان يخرج عن المألوف يقال عنه أنه خيالي.. حسناً.. أنا خيالي.. ودائماً ما كنت كذلك.. ولهذا صرت مشهوراً كما ترى"..

قال محمد : "معك حق فيما تقول يا سامي"..

ثم حدث نفسه قائلاً "لماذا حين يدور حوار بيني وبين سامي.. ينتهي هذا الحوار بمحاضرة فلسفية يلقيها سامي على مسامعي؟!"..

وفجأة صاح سامي : "توقف يا محمد"..

فأصدرت إطارات السيارة صريراً مزعجاً حين ضغط محمد مكابحها بقوة..

"ما الأمر الآن يا سامي؟"..

"سأشتري الأدوات اللازمة لخطتي من هذا المتجر"..

قالها وهو يترجل من السيارة.. فتابعه محمد ببصره إلى أن اختفى داخل المتجر.. فكر محمد " ربما يكون سامي غريب الأطوار بالفعل.. لكنه بصراحة أذكي من أي شخص رأيته في حياتي"..

بضعة دقائق أخرى.. وها هو سامي قد عاد إلى السيارة.. كان يحمل في يده علبة ورقية ضخمة..

"ماذا في تلك العلبة يا سامي؟"..

"أخبرتك.. بعض الملابس وأدوات التنكر التي تلزم الخطة"..

وما أن دقت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل.. حتى أيقظ سامي صديقه محمد.. وانطلقوا بالسيارة إلى مبنى السجون..

"اسمعني يا سيادة العقيد.. أريد منك الآتي....."..

***

(٤)

في قصر مراد بيه أبو السعد.. كان المجرم الهارب فتحي رافع يجلس يتناول قدحاً من القهوة..

"هذا غريب!".. قالها فتحي وهو يطالع الأخبار في الجرائد الموضوعة على المنضدة أمامه.. سأله مراد : "ما الأمر يا سيدي؟"..

"لا توجد أي جريدة كتبت عن هروبي من السجن"..

"بصراحة هذا لا يعقل.. يجب أن يكون خبر هروبك متصدراً صفحات تلك الجرائد منذ أمس"..

حك فتحي ذقنه وقال : "إن في الأمر سراً خطيراً"..

نهض مراد وانحنى أمام فتحي قائلاً : "أستأذنك يا سيدي.. يجب أن أذهب للشركة الآن"..

الذي ينظر إلى مراد.. يرى أنه رجل ذا هيبة ووقار.. ومركز اجتماعي مرموق جداً.. لكنه حين يكون مع فتحي.. يكون كالعبد المذلل لسيده.. وكيف لا وفتحي هو السبب في كل النعيم الذي يعيشه مراد..

أشار إليه فتحي بالانصراف.. لم يتكلف حتى النظر إليه.. كان منهمكاً في التفكير.. "كيف لم تعلم الصحف حتى الآن بهروبي؟! أنا أخطر وأقوى رجل في العالم.. وخبر هروبي من المفترض أن يزلزل كيان هذا البلد"..

***

في الطريق إلى شركته الكبرى.. قال مراد لسائقه الخاص : "أسرع يا محمود.. لقد تأخرت عن الشركة ساعة كاملة"..

انطلق محمود مسرعاً.. كان محترفاً حقاً في القيادة.. لكن كما يقول المثل (لكل جواد كبوة).. وهذا ما حدث اليوم لمحمود.. حين انعطف بالسيارة يميناً في مفترق طرق.. تفاجأ محمود بسيارة عتيقة الطراز تسير أمامه.. كانت تسير كسلحفاة على مضمار سباق يعج بالأرانب.. حاول محمود إيقاف السيارة.. المكابح لم تنصفه في الوقت المناسب.. ووقع الاصطدام بالفعل.. وما أن صدمت سيارة مراد تلك السيارة القديمة من الخلف.. حتى أصدر بوق تلك السيارة صوته دون توقف.. اجتمع الناس على الفور.. وترجل محمود من السيارة ليري ما الذي أصاب سائق تلك السيارة القديمة.. رأى محمود أن سائقها هو شيخ طاعن جداً في السن.. كان هذا الشيخ الكهل منكفئاً للأمام فوق عجلة القيادة.. ولهذا

كـان البـوق لا يصـمت.. "هـل هـو بخـير؟".. سـأل محمـود بحـذر.. فأتـاه صـوت أحـد الـواقفين : "هـل هـذا وقـت السؤال؟!! إنه يحتاج إلى إسـعاف في الحـال.. هنـاك مشـفى قريب من هنا.. اذهب به إلى هناك في الحال"..

قال محمـود بخجـل : "لا أسـتطيع ذلـك.. لأن سـيدي تـأخر كثيراً على شركته"..

"هل أنـت جـاد في كلامـك؟!!! أقـول لـك الرجـل يحتـاج إلى إسعاف.. وأنت تقول لى أن سيدك تأخر عن الشركة".. ونظـر الرجل إلى مراد واستطرد بصوت عالٍ : "ألست أنت مراد بيه أبو السعد عضو مجلس النواب؟"..

التفت الجميع إليه فقال في تردد : "أجل أنا هو"..

فقال الرجل : "هلا تخبر سائقك بـأن ينقـل هـذا الرجـل إلى المشفى؟"..

فكر مراد لو رفض فعل ذلك فسيثير سخط النـاس.. وسـيقع في مشاكل كبـيرة.. وسـيكون فريسـة للصـحفيين.. لهـذا قـال لمحمـود : "خـذ سـيارتي واذهـب بهـذا الرجـل المسـكين إلى المشـفى.. ثـم اذهـب بسـيارته تلـك إلى أقـرب ميكـانيكي.. سأستقل أنا تاكسي من هنا"..

قال الرجل الذي كان يتحدث منذ قليـل : "أنـت حقـاً نصـير للفقراء.. بارك الله فيك".. ثـم صـاح بـأعلى صـوته : "يعـيش مراد بيه أبو السعد نصير المساكين".. فردد كثير من الـواقفين وراءه..

***

(٥)

صبيحة اليوم التالي.. حدق فتحي في الجريدة وهو يقول : "مستحيل"..

سأله مراد : "ما الأمر يا سيدي؟"..

"انظر لهذا الخبر يا مراد"..

أمسك مراد الجريدة.. وقرأ :

(القبض على أكبر تاجر مخدرات في الشرق الأوسط)..

ثم نظر إلى فتحي قائلاً : "مؤكد هناك خطأ ما"..

قالها وأعاد النظر داخل الجريدة.. نظر إلى صورة ذلك الذي يزعمون أنه أكبر تاجر مخدرات.. وفكر في نفسه "كأني رأيت هذا الرجل قبلاً.. لكن لا أتذكر أين ومتى"..

ثم بدأ يقرأ تفاصيل هذا الخبر بصوت مسموع :

(نجحت الشرطة في القبض على المجرم الخطير (مصطفى يعقوب).. بعد أن تلقوا بلاغاً من الأسطى ميكانيكي (شاهين عبد الباسط) يفيد بأن شخصاً أتاه ليصلح سيارته.. وبعد أن ذهب هذا الرجل وترك السيارة.. وأثناء كشفه عليها وجد حقيبة جلدية كبيرة موضوعة في حقيبة السيارة.. وحين

أخرجها.. لم يلحظ أنها مفتوحة.. فوقع ما بداخلها.. وكان ما بداخلها عبارة عن أكياس كثيرة تحتوي على مادة بيضاء تشبه الدقيق.. انتاب هذا الميكانيكي شك في أن يكون ما بداخل هذه الأكياس هو نوع من المخدرات.. وبالفعل اكتشف المعمل الجنائي أن تلك المادة هي عبارة عن هيروين.. وأن الكمية التي كانت في السيارة عشرون كيلو جراماً من تلك المادة المخدرة...)..

قال مراد : "يا الله.. عشرون كيلو من الهيروين؟!!! لقد خسر هذا الرجل ملايين"..

قال فتحي : "تابع القراءة يا مراد"..

(وتم القبض على هذا المجرم في مستشفى السلام.. حيث كان قد تعرض لحادث تصادم بالأمس بالقرب من المشفى.. وقد منعه هذا الحادث من إتمام صفقة المخدرات تلك)..

وما أن أنهى مراد تلك العبارة حتى قال فتحي : "هل هذا الرجل هو الذي صدمه سائقك الغبي بالأمس؟"..

أعاد مراد النظر إلى صورته : "يا إلهي.. انه حقاً هو"..

ثم ألقى نظر إلى كل صحف هذا اليوم والموضوعة على المنضدة..

"إنه الخبر الرئيسي في كل الصحف"..

ضغط فتحي أسنانه بقوة : "كيف يقولون أنه أخطـر مجـرم في الشرق الأوسط ؟!!"..

"مؤكد أنهم مخطئون يا سيدي"..

قال مراد : "انظر هنا يا سيدي.. إنهم يكتبون عنـك في هـذه الجريدة"..

"ماذا يقولون؟"..

ازدرد مراد ريقه وقال : "أفضل أن تقرأها أنت"..

انتزع منه الصحيفة انتزاعاً.. قرأ هذا الخبر.. صاح في غضـب : "هذا غير صحيح.. أنا هو الأفضل.. أنا الأقوى.. أنا الأخطـر.. أنا الملك"..

ثم ألقى الصحيفة جانباً.. كان عنوان هذا الخبر..

(سقوط ملك الجريمة السابق فتحـي رافـع.. وتنصـيب ملـك جديد)..

وكان هذا الخبر يتحدث عن العجوز (مصطفى يعقوب)..

وجريدة أخرى تقول..

(ملك الهيروين الجديد)..

الغضب.. الحقد.. الكراهية.. والمزيد من الغضب.. ذلك أقل ما يقال عن حالة فتحي في ذاك الوقت..

أتى صوت مراد خاشعاً خاضعاً : "ما العمل الآن يا سيدي؟"..

رمقه فتحي بنظرة صارمة لدرجة جعلت قلبه – مراد - يكاد يتوقف من فرط الرعب.. ثم نظر إلى صورة مصطفى في الجريدة ورد على مراد بكلمة واحدة : "الإبادة"..

***

(٦)

كان فتحي يتناول قهوته الصباحية.. ويقرأ في الجريدة - كالمعتاد- عن أي أخبار ذات صلة به - من قريب أو بعيد.. كان واضعاً قدماً فوق أخرى في هدوء وكبرياء.. اعتدل فجأة وقد اتسعت عيناه.. قال بنبرة مليئة بالاندهاش : "ما هذا؟!! كيف ذلك؟!!"..

"ما الأمر يا سيدي؟"..

سأله مراد.. فأجاب : "هذا الرجل المدعو مصطفى يعقوب"..

"ماذا به؟"..

"لقد هرب من السجن"..

قال مراد : "وما شأننا نحن؟!"..

ألقى فتحي بالجريدة في وجهه قائلاً : "اقرأ أنت"..

(هروب ملك الجريمة.. ورسالة الانتقام..

تعيش الداخلية أوقاتاً عصيبة بعد هروب أكبر تاجر مخدرات في الوطن العربي "مصطفى يعقوب".. حدث الهروب في الثالثة صباحاً.. لكن الغريب أن طريقة الهروب لا تزال مجهولة حتى الآن.. لا خدش.. لا إصابات.. ولا يمكن

أن يكون قد تلقى مساعدة من أحد الحرس.. فعلى زنزانته حراسة مشددة.. وكلهم من أكفأ الحراس وأكثرهم إخلاصاً....)..

وتوقف مراد عن القراءة.. فقد دخل الخادم ممسكاً بمظروف أسود غريب الشكل.. أعطاه لمراد : "لقد وجدت هذا المظروف في حديقة القصر يا سيدي"..

انتشل منه المظروف بسرعة.. وكانت به رسالة.. فض محتواها.. وليته ما فعل!.. صاح بهلع : "يا إلهي!"..

سأله فتحي : "ما الأمر؟!"..

بهت وجه مراد وهو يجيب : "إنه.. إنه من.. مصطفى يعقوب"..

برزانته وهدوءه المعهود.. سأله فتحي : "ولكن ماذا يريد؟!"..

ازدرد مراد ريقه بصعوبة وقال بصوت يكاد يكون غير مسموع : "الانتقام.. يريد الانتقام"..

"الانتقام".. قالها فتحي ثم انتزع الرسالة وقرأها.. (من الزعيم الأوحد مصطفى يعقوب.. إلى المجرم الأحمق مراد أبو السعد.. لقد تسببت لي بخسارة فادحة قدرها خمسين

مليـون دولار.. وأريـد أن أسـتعيد نقـودي.. ولهـذا فإمـا أن تدفع لي المبلغ نقداً.. وإلا فإنني سأسعى لأن أجعلك تخسر أغلى ما تملك... زوجتك الغالية إيمي.. وولـدك العزيـز رامـي وأنا أعلم أنهما في الساحل الشمالي.. ثم بعدها سأتجه إليـك وسـأمزقك إربـاً إربـا.. بالمناسـبة.. رجـالي قريبـون جـداً مـن زوجتك وابنك... أقرب مـما تتصـور.. وأنـا أقـرب إليـك مـما تتخيل.. أنتظر ردك بفارغ الصبر)..

قال فتحي : "هل هذا الرجل مجنـون؟!! لا يمكـن أن تكـون تلك البضـاعة بخمسـين مليـون دولار تحـت أي ظـرف مـن الظروف.. انه يستغلك بلا شك"..

قال مراد وكأنه على وشك البكاء : "وما العمـل الآن؟.. أنـا لا يمكنني تركه يؤذي زوجتـي وولـدي.. كـما أني لا أملـك هـذا المبلغ بالكامل.. أرشدني يا سيدي.. ماذا عليّ أن أفعل؟"..

هم فتحي بقول شيء مـا.. إلا أن الهـاتف المحمـول الخـاص بمراد رن في تلك اللحظة..

أسرع مراد مجيباً : "مرحباً"..

أتاه صوت محدثة مرعباً.. يشبه فحيح الأفعـى : "مرحبـاً يـا صغيري.. أظنك قرأت الرسالة"..

شحب وجه مراد.. فسأله فتحي : "ما الأمر؟!!"..

فقال له أنه مصطفى.. على الفور.. انتشل فتحي الهاتف من يده.. وأشار إليه بشيء ما.. فانطلق مراد مسرعاً.. وتولى فتحي محادثة مصطفى : "أهلاً يا مصطفى"..

"من؟! العزيز فتحي رافع؟! يا مرحبا يا مرحبا"..

سأله فتحي : "ماذا تريد بالضبط من مراد؟"..

"حقي.. أريد حقي لا أكثر"..

"خمسين مليون دولار؟ أليس هذا أكثر بكثير من ثمن البضاعة؟!"..

"انه ثمن البضاعة مضافاً إليه ثمن ذهابي للسجن"..

"أنت لم تبت في السجن سوى ليلة واحدة فقط"..

"لقد كلفتني تلك الليلة الكثير يا صديقي.. ما هو قراركما النهائي.. هل ستدفعان؟"..

قال فتحي : "أعطنا مهلة أكبر لنفكر في الأمر"..

فأجابه مصطفى : "ليس هذا من طبعي.. لكني سأمهلكما بعض الوقت"..

"كيف أتصل بك؟"..

سأله فتحي.. فأجاب : "لا يمكنك طبعاً.. أنا سأتصل بك"..

قالها وأغلق الخط...

أتى مراد مسرعاً يحمل في يده هاتفاً آخر.. أخذه فتحي وتحدث فيه : "هل حصلت على العنوان يا شريف؟"..

أتاه صوت محدثه عبر الخط : "نعم يا سيدي.. لقد كانت تلك المكالمة واردة من (.....)"..

وما أن أخبره العنوان.. حتى اتسعت عيناه من فرط الدهشة.. حدث ذلك للحظة واحدة.. ثم أخذ يضحك ضحكاً هستيرياً..

سأله مراد في قلق : "ما الأمر يا سيدي؟"..

قال فتحي وهو لا يزال يضحك : "إنه يتلاعب بنا يا مراد"..

ثم ارتسمت أمارات الجدية على وجهه وقال وقد اكفهر وجهه فجأة : "لن أغفر له تلك الإهانة أبداً يا مصطفى"..

"عفواً يا سيدي.. لكن ماذا تقصد؟!"..

نظر إليه فتحي وقال : "أتعلم من أين وردت تلك المكالمة؟... من هنا.. من هذا القصر!!!"..

صاح مراد في هلع : "أتعـ .. أتعني أنه.. هنا؟!!!!"..

"بل كان هنا.. أظنه قد ذهب الآن"..

ثم حـك ذقنـه وهـو يتـابع : "هـذا الرجـل أكـبر مـما كنـت أتصور"..

سـأله مـراد : "ولكـن كيـف دخـل إلى هنـا دون أن يلحظـه أحد؟!"..

"تماماً كما هرب من السجن دون أن يلحظه أحد"..

"معك حق يا سيدي.. المهم الآن كيف سنتصرف؟"..

"دع الأمر لي.. أنا سأتصرف"..

مرت ساعتان.. ورن الهاتف المحمول من جديد.. صاح مـراد : "إنه هو يا سيدي"..

أمسك فتحي الهاتف : "مرحباً يا مصطفى"..

"هل فكرت؟!"..

"نعم"..

"وماذا قررت.. الدفع أم ...."..

"حسناً.. سأعطيك ما تريد"..

"توقعت هذا.. أنت أذكى من أن ترفض.. خاصة وبعد أن علمت من أين وردت مكالمتي الماضية"..

هتف فتحي : "كيف علمت؟!"..

استطرد كأنه لم يسمع هذا السؤال : "لكن للأسف.. لم يعد بإمكانك أن تعلم من أين أكلمك"..

"لماذا؟"..

"يمكنك أن تقول أنني كنت ظمآناً.. ولم يرويني إلا دم عامل في شركة الهاتف يدعى شريف محسن"..

"هل قتلته؟! انه أحد رجالي.. ومعنى أن تقتل أحد رجالي أنك تتحداني"..

قال مصطفى بهدوء : "لمَ تنظر لها من هذه الجهة؟.. يمكنك أن تقول أنني لا أحب أن يحشر الصغار أنوفهم فيما يفعله الكبار"..

"كيف أعطيك مالك؟"..

"هل أنت جاهز بالمال؟"..

"نعم"..

"جيد جداً.. سأقابلك غداً إذاً"..

"تقابلني أين؟"

لم يأته الرد.. فقد أغلق مصطفى الخط بالفعل..

***

(٧)

رن هاتف المنزل.. قام مراد وأجاب : "ما الأمر يا محمد؟"..

قال عامل الأمن الواقف على الباب : "أعتذر عن الإزعاج يا سيدي.. لكن هناك شخص يريد الدخول يقول أنه يدعى مصطفى"..

اتسعت عيناه : "ماذا؟!.. مصطفى هنا؟!"..

سمعه فتحي الذي كان يتناول قهوته الصباحية.. قال بهدوء : "دعه يدخل يا مراد"..

قال مراد عبر الهاتف : "دعه يدخل يا محمد"..

وأغلق الهاتف.. ثم ذهب إلى باب القصر يستقبل مصطفى بنفسه.. واختلس فتحي النظر من خلف النافذة..

نزل السائق من سيارة مرسيدس فخمة جداً.. وفتح الباب الخلفي للسيارة.. ترجل منها رجل وقور كبير في السن.. لكنه لا يزال يتمتع بشيء من القوة.. كان مرتدياً معطفاً سميكاً أسود اللون.. ونظارة سوداء تقي عينيه خطر الشمس.. وتضفي على منظره هيبة ووقاراً أكثر..

تقدم نحو الباب الأمامي للقصر حيث يقف مراد..

"مرحباً يا مصطفى بيه"..

قالها مراد وهو يمد يده مصافحاً إياه.. فنظر إليه مصطفى بازدراء وأبى أن يمد له يده.. شعر مراد بالإحراج.. لكنه قال : "فتحي بيه في انتظارك"..

تقدم مصطفى دالفاً إلى القصر..

"تفضل من هنا يا سيدي"..

وأشار إلى غرفة جانبية.. دلف إليها مصطفى يتبعه مراد.. كان بها فتحي.. حين رأى مصطفى قام من مقعده مرحباً : "أهلاً أهلاً بالعبقري الشرير"..

ومد يده مصافحاً.. ابتسم مصطفى ابتسامة واثقة هادئة ومد يده هو الآخر وتصافحا.. ثم أشار إليه فتحي : "أرجوك .. تفضل بالجلوس"..

خلع مصطفى معطفه.. مد يده بالمعطف نحو مراد.. اعتبرها مراد إهانة.. وتمنى لو يسمح له فتحي بتصفية جسد هذا العجوز المتعجرف.. قال فتحي بهدوء : "خذ المعطف من يا مراد"..

لم يكن هناك بد من إطاعة الأوامر.. فأمسك المعطف.. وعلقه في المكان المخصص لذلك .. ثم عاد وجلس بجوار فتحي في مواجهة مصطفى..

قال فتحي : "هل تعلم يا مصطفى أنني لم أسمع بك من قبل"..

قال مصطفى في لا مبالاة : "لابد أن سمعك ثقيل!"..

احمر وجه مراد غضباً وهو يقول : "احفظ لسانك يا هذا.. ألا تعلم مع من تتحدث؟"..

قال مصطفى موجهاً حديثه لفتحي : "ألا تعلم جرذانك أن يصمتوا حين يتحدث الكبار؟!"..

قال مصطفى الذي لم يتبدل هدوءه : "اصمت يا مراد"..

في إذلال : "أمرك يا سيدي"..

ابتسم مصطفى في وجه مراد قائلاً بسخرية : "أحسنت يا فتى"..

قال فتحي : "جدياً يا مصطفى.. أنا لم أسمع بك من قبل"..

قال مصطفى : "هل أنت غبي يا فتحـي أم تـدعي الغبـاء؟.. أنت تعلم أن في مجال عملنا.. الزعيم يجب أن يكـون بعيـد تماماً عن الأنظار"..

قـال فتحـي : "لكنـي كنـت الـزعيم لفـترة طويلـة ولا أزال.. والكل كان يعلم هويتي.. لكـن لا أحـد يسـتطيع أن يمسـك عليّ نقطة ضعف"..

قال مصطفى : "دائماً كنت تحت مرأى ومسمع مني.. لكنـي لم أشأ أن أؤذيك .. فقـد كنـت مسـتفيداً مـن وجـودك عـلى القمة بإبعاد الشبهات عني.. وبصراحة تمنيت لو أنك تكـون ذراعي الأيمن"..

طفـق فتحـي يضـحك بشـدة ثـم قـال : "أنـا؟.. مسـاعدك أنت؟!!!"..

قال مصطفى : "لا أحب أن أعتقد أن تلك إهانة.. فغضبي لا يتحمله بشر"..

دقق فتحي النظر فيـه وقـال : "مـا الـذي يمنعنـي الآن مـن الإطاحة برأسك .. خاصة وأنك في ملعبي؟"..

حك مصطفى ذقنه قائلاً : "أظن أن فكرتي عنك وعن ذكائك بدأت تختلف قليلاً"..

"لماذا؟"..

"هل تتوقع أنني أتيت لمقابلتك بمفردي"..

"ماذا تعني؟"..

قام واتجه نحو النافذة وأشاح الستار عنها مشيراً إلى الخارج وهو يقول : "انظر"..

ألقى فتحي نظرة للخارج حول أسوار القصر.. وقال بانبهار : "ما كل هؤلاء؟!"..

اقترب مراد بحذر.. وألقى نظرة من النافذة.. ثم صاح بارتياع : "يا إلهي!"..

وبالفعل كان المنظر مرعباً.. مئات المسلحين.. يرتدون ملابساً تشبه ملابس الجيش - لكنها ليست هي - وهم أيضاً مفتولوا العضلات.. يضعون على وجوههم أقنعة سوداء..

ابتسم مصطفى قائلاً : "هل خفتم يا صغاري"..

نظر إليه فتحي في حنق وضيق.. في حين تابع مصطفى الكلام : "الآن أخبركم.. لماذا أريد الخمسين مليون.. عشرين مليون ثمن البضاعة التي كانت في السيارة.. وعشرة ملايين

ثمن إصابتي في ذلك الحادث.. وعشرة ملايين ثمن دخـولي إلى السجن.. وعشرة ملايين لهؤلاء الرجال بالخارج"..

صاح فتحي في هلع : "هل هم مرتزقة؟!"..

"ليس تماماً.. الاسم مرتزقة.. لكنهم يعملون لحسابي أنا فقـط منذ أكثر من عشر سنوات..وهم مخلصون جداً لي.. أنا أنفق ببزخ كما ترى"..

"المرتزقة ولائهم الأول للمال ولمن يدفع لهم أكثر"..

"هـؤلاء يعلمـون مـن أنـا.. ومـاذا يمكننـي أن أفعـل.. وكـم أستطيع أن أدفع.. لهذا هم شديدوا الإخلاص لي"..

قال فتحـي : "يمكننـي قتلـك .. والهـروب دون أن يكتشـفوا ذلك"..

"ألم أقل أنني بدأت أشك في مدى ذكائك ؟.. الآن تأكدت من ذلك"..

ثم أشار من النافذة قائلاً : "هل ترى تلك السيارة هناك؟"..

"نعم.. أراها بوضوح"..

"بداخل تلك السيارة يجلس أحد أتباعي أمام شاشـة تعـرض ما يدور بيننا الآن بالصوت والصورة"..

صاح مراد : "ولكن كيف؟"..

"بهذا"..

قالها مصطفى وهو ينزع قلماً كان موضوعاً في جيب قميصه : "هذا القلم هو عبارة عن كاميرا للمراقبة"..

قال فتحي : "لقد سمعت به من قبل"..

قال مصطفى : "أين هو مالي؟"..

صمت فتحي وازدرد مراد ريقه دون أن يتفوه بكلمه.. أعاد مصطفى السؤال بنبرة أكثر قوة هذه المرة : "أين هو مالي؟"..

مجدداً لم يتلقى أية إجابة.. فقال : "كنت أتوقع ذلك .. أردت يا فتحي أن تلتقي بي لتتخلص مني.. لقد فعلت ذات الشيء مع سيدك "مالك النوري" حتى تكون لك السيادة.. لكني لست كمالك أو غيره.. أتفهم؟"..

قال فتحي : "أعطني مهلة ثلاثة أيام فقط .. وسأدبر لك هذا المبلغ"..

أطلق مصطفى ضحكة مدوية.. وقال بعد أن فرغ : "أعطيك مهلة؟!.. يا لك من ثعلب ماكر.. يمكنني فعلاً أن أعطيك المهلة التي تريدها.. لكني أحتاج لضمان"..

"ما الضمان الذي تريده؟"..

"أنت يا فتحي.. أنت هو الضمان الذي أريد"..

"ماذا تقصد؟!"..

"أقصد أنك ستأتي عندي كرهينة.. إلى أن يأتي مراد بالمال.. لكن هذه المرة سيكون المبلغ ستين مليون بدلاً من خمسين"..

"ما هذا الهراء الذي تقوله.. يمكنني أن آخذك أنت كرهينة إلى أن أخرج من بين رجالك دون أن يمسوا شعرة واحدة من رأسي"..

"هل تظن حقاً ذلك ؟.. المرتزقة يا صديقي ينفذون الأوامر دون النظر إلى العواقب.. وأوامري كانت واضحة.. أبيدوه من الوجود.. وانسفوا القصر نسفاً إن أصابني مكروه"..

ضغط فتحي أسنانه قائلاً : "أيها الجبان"..

قال مصطفى : "أنا الجبان؟!.. لقد أخذت من الدنيا كل المتع التي أريدها.. وفعلت كل ما أراد إنسان فعله يوماً.. إلى أن مللت الدنيا وزهدت فيها.. أما أنت فأرى حب الدنيا في عينيك .. تخشى من الموت وهو مدركك لا محالة.. إلا إذا..."..

"إلا إذا ماذا؟"..

"إلا لو أتيت معي الآن.. إلى أن أحصل على أموالي كاملة.. ماذا تختار.. الأسر أم الموت؟"..

صمت فتحي قليلاً كأنما يفكر.. ثم قال : "ومن أدراني أنك لن تغدر بي بعد حصولك على أموالك ؟"..

"أنا لا أخلف وعدي أبداً.. الكبار لا يفعلون ذلك .. ولكي تطمئن أكثر.. سيرسل لي مراد نصف المبلغ.. ثلاثين مليون دولار.. فأطلقك من الأسر.. ثم بعد أن تصبح في أمان سيرسل لي بقية المبلغ.. فأصدر أمري لرجالي ألا يؤذوا زوجته وولده.. وأي محاولة للخداع ستكون الدماء للركب.. هل كلامي واضح؟"..

أمسك فتحي ورقة وكتب عليها شيئاً ما ثم قال لمراد : "هـذا هو رقم حسابي السري واسم البنك في انجلـترا.. اسـحب منـه ستين مليوناً فقط"..

"أمرك يا سيدي"..

ثم نظر فتحي إلى مصطفى وقال : "حسناً أنا مستعد"..

"إذاً تقدم أمامي"..

وخرجا إلى أن صارا بين رجال مصطفى الأقوياء..

***

(٨)

ركب فتحي أحد السيارات بين بعض هؤلاء الرجال الأقوياء الذين يشهرون أسلحتهم نحوه تأهباً لأي خدعة.. وفي الطريق وضع أحد الرجال عصابة فوق عينيه حتى لا يرى إلى أين هم ذاهبون..

وبالطبع تبعهم مصطفى في سيارته الفاخرة..

توقفت السيارة.. نزل منها فتحي وهو لا يعلم إلى أين يقودوه.. صعد معهم بضع درجات.. ثم سار في ممر طويل.. ونزل أيضاً بضع درجات.. وسار في ممر أطول من سابقه ثم نزل ما يقرب من عشرين درجة من درجات السلم.. بعدها فتحت غرفة وتم دفعه بها..

ثم أزيلت العصابة عن عينيه..

رأى نفسه واقفاً أمام مصطفى..

ثم سمع صوتاً قادماً من خارج تلك الغرفة يقول له "حمداً لله على سلامتك يا فتحي.. لقد افتقدناك كثيراً"..

فكر فتحي في أن هذا الصوت يبدوا مألوفاً.. ثم اتسعت عيناه حين رأى مصدر هذا الصوت.. لقد كان العقيد طارق عبد الحميد..

صاح فتحي : "ما الذي يحدث؟!.. وأين أنا؟!!"..

ابتسم مصطفى قائلاً : "ألا تذكر ذلك المكان؟"..

نظر حوله بسرعة متفحصاً المكان.. ثم قال : "يا إلهي.. هل عدت إلى السجن؟!"..

ثم نظر إلى مصطفى قائلاً : "هل أوقعت بي يا مصطفى؟!"..

نظر مصطفى عن يمينه وعن يساره وخلفه.. ثم قال : "إلى من تتحدث؟!"..

"أتحدث إليك أنت يا مصطفى"..

"أنا لست مصطفى"..

قالها الرجل وهو ينتزع قناعاً جلدياً من على وجهه ثم تابع : "أنا أدعى سامي الجمل"..

انتابت فتحي نوبة من الهياج.. وحاول الانقضاض على سامي إلا أن الرجال الأقوياء حوله أمسكوا به ومنعوه من الوصول إليه.. كان فتحي يصيح ويقول : "سأقضي عليك يا سامي.. سأقتلك .. سأمزق لحمك إرباً إرباً.. لم تنتهي الحكاية بعد"..

تركه سامي وانصرف وفتحي يصيح بأعلى صـوته : "سـأقتلك يا سامي.. سأقلك"..

***

(٩)

جلس سامي وصديقه محمد والعقيد طارق يحتفلون في مكتب هذا الأخير..

قال العقيد : "لا أصدق أننا استطعنا إعادة القبض على فتحي بعد هروبه"..

قال محمد : "الفضل لله أولاً.. ثم للمحقق سامي"..

قال العقيد : "معك حق يا أستاذ محمد"..

قال سامي : "أنا لم أفعل إلا واجبي"..

قال العقيد : "بصراحة حين سمعت عنك في البداية.. ظننت أنك مجرد محقق هاوٍ يا أستاذ سامي وأن الإعلام يبالغ في تمجيد أعمالك .. لكن حين تشرفت بالعمل معك... رأيت كم أنك محقق خارق الذكاء بالفعل.. وأن ما قيل عنك أقل بكثير من الحقيقة"..

قال محمد : "بالمناسبة يا سامي.. كيف اكتشفت هروب فتحي؟.. وكيف ربطت بين نباح الكلاب وعملية الهروب؟.. وكيف علمت بوجود الزنزانة السرية؟.. ثم كيف علمت مكان فتحي؟.. وكيف أتت لك تلك الخطة العبقرية؟"..

قال العقيد : "نعم يا أستاذ سامي.. كيف فعلت كل ذلك ؟"..

ضحك سامي وقال : "الأمر أبسط مما تتخيلوا يا سادة.. حين سمعت صوت نباح الكلاب بهذه القوة.. علمت أن هناك أمراً غير طبيعي يحدث.. وحين توقفت عن النباح في اليوم الأول نظرت إلى الساعة فإذ بها تشير إلى تمام الثالثة فجراً.. ثم حين بدأت تنبح في اليوم الثاني.. لاحظت أنها تنبح في مثل وقت الليلة الماضية.. أي في الثانية عشرة وحين توقف النباح كانت الساعة الثالثة.. لاحظت في ذالك اليوم أن الصوت بات أقرب قليلاً عن الليلة الماضية.. ثم حين نبحت في تمام الثانية عشرة من اليوم الثالث.. كنت على يقين تام حينها بأن هناك أمراً كبيراً يحدث ولا شك .. وأيضاً لاحظت أن الصوت بدأ يبتعد أكثر.. ورغم ذلك فقد كان عالياً جداً لا يطاق لدرجة أن منزلي كان يهتز من شدة نباحهم..هكذا كنت أعتقد .. فاستدعيتك يا محمد.. لأنني رأيت أن الصوت كان يبتعد عن منزلي.. لكنه يقترب من السجن.. على الفور توقعت أن هناك خطة مدبرة للهروب من السجن.. لكني لم أكن متأكداً بعد من ذلك ..

قال العقيد : "وماذا فعلت بعد ذلك ؟"..

"بحثت في الانترنت عن أسباب نباح الكلاب المستمر.. فوجدت بعض الأسباب المؤدية لذلك .. لكن ما جذب انتباهي من هذه الأسباب.. هو أن الكلاب تنبح حين ترى شخصاً غريباً في المنطقة.. كما أنها تنبح حين تشعر بالخطر كالزلازل والبراكين.. بدأت حينها أربط أطراف الخيوط ببعض.. (أولاً / نباح مصحوب بهزة أرضية خفيفة.. ثانياً / بدأت الهزة في الثانية عشرة وانتهت في الثالثة تماماً.. لا يمكن أن يكون زلزالاً يرتدي ساعة!!!.. ثالثاً / اتجاه الهزة الأرضية ومعها نباح الكلاب نحو السجون.. ما الذي يسبب اهتزاز الأض مثل هذه الاهتزازات الخفيفة؟ ربما عربة ثقيلة.. لكن لم تمر عربات من هنا في هذا الوقت.. ربما تكون أحد آلات الحفر.. هذه هي الإجابة بالتأكيد).. هكذا أمسكت طرف الخيط الأساسي"..

قال العقيد : "حفار يتجه إلى السجن في هذا الوقت؟.. لابد أنها عملية هروب بالفعل.. الأمر فعلاً بسيط بعدما شرحته"..

قال محمد : "وماذا حدث بعد ذلك ؟"..

"كنت قد زرت هذا السجن مرة قبل ذلك.. من أجل المساعدة في التحقيق في عملية هروب بعض السجناء..

(وكنت حينها برفقة مفتش المباحث سمير الرفاعي).. ولاحظت أن العنابر قد بنيت كلها أعلى من مستوى سطح الأرض.. لذا فإن كانت هناك عملية هروب.. فلابد من أن الزنزانة تحت سطح الأرض.. وإن كانت تحت سطح الأرض ولم أرها في المرة الماضية.. فأكيد أنها سرية جداً ومخصصة لتمنع هروب المجرمين الخطرين.. وكنت قد قرأت في جريد الأسبوع الماضي عن ترحيل فتحي رافع إلى هذا السجن.. وأنا أعلم أنه واحد من أخطر المجرمين في الشرق الأوسط .. إذاً لابد من أن يكون بداخل تلك الزنزانة السرية.. وهو بدون شك سيسعى للهروب.. حتى لا ينفذ فيه حكم الإعدام.. وهو يمتلك إمكانيات كبيرة يمكنه أن يستأجر حفاراً عملاقاً (أو حتى يشتريه) ثم يستأجر مخزناً في الجهة الأخرى من المدينة ويبدأ في الحفر معتمداً على نباح الكلاب الضالة في تغطية صوت الحفار"..

قال العقيد : "لكن إن كان الأمر كما تقول.. فربما لن تنبح الكلاب على تلك الآلة.. وربما تكون الكلاب الضالة أقل من أن تصدر صوتاً مرتفعاً يغطي صوت الحفار"..

قال محمد : "لا أظن أن شخصاً يفكر بهذه الطريقة يصعب عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة"..

قال سامي : "معك حق يا محمد.. هناك عقـاقير تتسـبب في انفعال الكلاب وهياجها.. وربمـا يـأتون بمزيـد مـن الكـلاب.. ولكنهم مع كل هذا فعلوا شيئاً عبقرياً لجذب الكلاب"..

سأل العقيد : "وما هو؟"..

"سأتابع القصة حتى لا نفقد بعض التفاصـيل.. ثـم سـأعقب على هذا الشيء حين أصل إليه"..

فقال العقيد : "حسناً.. لا بأس"..

"حين أتيت إلى السجن لاحظت أن الكلاب قريبـة جـداً مـن السجن.. فعلمت أن الحفـار عـلى وشـك أن ينهـي مهمتـه.. فأسرعت دالفاً إلى الداخل.. ولتسببت في منعه من الهرب لو هذا الحارس على البوابة.. ولولاك يا سيادة العقيد"..

قال العقيد : "لكنك قلت للحـارس أننـي معـرض للاغتيـال.. فكيف علمت أنني موجود في هذا الوقت؟"..

"ببساطة لقد رأيت سيارتك .. وعلمت أنها ملـك لـك لأننـي رأيتـك وأنـت تترجـل منهـا في أول مـرة زرت فيهـا هـذا السجن"..

"حسناً.. هذا منطقي جداً"..

تابع سامي : "وأنت تعلم ما حدث بعد ذلك منذ أن قابلتك إلى أن تبعتهم في النفق"..

قال العقيد : "صحيح يا أستاذ سامي.. ما الذي حدث لكم داخل النفق.. وما هي قصة لسان اللهب الذي خرج خلفكم من النفق مباشرة؟"..

"حين وصلنا إلى نهاية النفق كانت هناك حفرة كبيرة فوقنا تؤدي إلى المخزن الذي بدأ منه الحفار في النزول تحت الأرض.. أختلست النظر من هذه الحفرة.. فرأيت فتحي وحوله بعض من رجاله.. كان بعض هؤلاء الرجال يحملون قطعاً كبيرة من اللحم.. ويلقون بها إلى الخارج.. فقلت في نفسي- بالتأكيد هذه القطع إلى الكلاب كي يتوقفوا عن النباح"..

قال محمد : "لحظة واحدة يا سامي.. لو كانت قطع اللحم هذه في المخزن لظل الكلاب ينبحون حول المخزن.. لكنا وجدناهم ينبحون أمام السجن.. وينبشون بأقدامهم في الأرض"..

"هذه ملاحظة جيدة يا صديقي.. وهذا معناه أن اللحم لم يكن بالمخزن.. وإنما كان في الحفار.. لهذا كانت الكلاب

تتبعه بنباحها المستمر.. وهذا هو الشيء العبقري الذي فعلوه لجذب الكلاب والذي أخبرتكم عنه قبل قليل.. ثم إنني رأيت من بين أفراد العصابة شخص من صفوة المجتمع"..

"تقصد مراد أبو السعد؟"..

"هو ذاك يا محمد.. عضو مجلس النواب.. والوزير الأسبق.. ورجل الأعمال الشهير.. مراد أشرف أبو السعد.. وجدت فتحي يسأله : هل القنابل جاهزة؟.. فأجابه بنعم.. فعلمت على الفور لماذا يريد القنابل.. ليدمر النفق حتى لا يتبعه أحد من رجال الشرطة.. لذا طلبت من الجنود أن يعودوا أدراجهم بأقصى ما لديهم من سرعة.. والحمد لله.. لم يصب أي منهم بأذى"..

قال العقيد كأنما يحاول استيعاب ما حدث : "أولاً آلة لحفر الأنفاق.. ثم نباح الكلاب كي يغطي على صوت هذه الآلة.. ثم قنابل لتدمير النفق.. هذا بالتأكيد تخطيط عقل ذري"..

قال سامي : "ولهذا أطالبك بعدم إغفال عينيك لحظة عن صاحب هذه العقلية الخطيرة.. لأنه قادر على الهروب من جديد"..

"لا تقلق أبداً.. سأبذل قصارى جهدي حتى أجعله لا يفكر مجرد تفكير في الهرب"..

"أتمنى ذلك"..

قال محمد : "لكن إن قلنا أن فتحي يمتلك عقلاً إجرامياً خارقاً.. فإن سامي بالتأكيد يمتلك عقلاً أكثر ذكاءاً منه بمراحل"..

قال العقيد : "لقد عاينت ذلك بالفعل"..

ثم نظر إلى سامي وأكمل : "أخبرنا يا أستاذ سامي.. كيف واتتك تلك الخطة العبقرية في الإيقاع بفتحي؟"..

"حين علمت أن مراد أبو السعد فرد من العصابة.. وهو بالتأكيد فرد مهم جداً فيها.. قررت أن أستغله للإيقاع بفتحي.. وبعد جمع بعض المعلومات عنه.. تلخصت خطتي في عدة نقاط :

- أن أتنكر في صورة رجل عجوز يقود سيارة قديمة بالية..
- أن يصدم سائق سيارته سيارتي من الخلف أثناء ذهاب مراد لشركته..

- أتظاهر بالإغماء وأجعل بعض الدماء الزائفة تسيل من فمي.. فيجتمع الناس حول السيارة.. ومن بينهم رجل يقترح أن يذهب السائق بي إلى المشفى.. وأن يذهب بالسيارة إلى ورشة قريبة لتصليح السيارات..

ثم نظر إلى محمد واستطرد مبتسماً : "ولقد أدى هذا الرجل دوره ببراعة"..

ابتسم محمد قائلاً : "كنت أخشى- أن يذهب مراد قبل أن يذهب بك سائقه إلى المشفى.. لأن ذلك كان سيجعل الخطة تفشل فشلاً ذريعاً.. لهذا نظرت إلى مراد وسألته بصوت يسمعه الجميع : ألست أنت مراد أبو السعد عضو مجلس النواب؟.. فأجابني بالإيجاب.. فأثنيت عليه وأخبرته أنه بالتأكيد لن يترك هذا الرجل العجوز يموت في الشارع.. وبهذا لم يكن هناك بد من أن يأمر سائقه بأن يوصل هذا الرجل للمشفى"..

قال العقيد : "ألم تخش أن يطلب سيارة إسعاف؟"..

قال سامي : "كان المشفى قريب وقد خططت لأن تكون كل سيارات الإسعاف الملحقة بتلك المستشفى غير موجودة في الوقت الحاضر"..

"لقد وضعت كل شيء في حسبانك إذاً"..

قال سامي : "الخطوات التالية كانت هي الأهم :

- الميكانيكي الذي أصلح السيارة هو أحد رجال المباحث المتنكرين.. الخطة اقتضت أن يتظاهر أمام الناس أنه وجد حقيبة كبيرة موضوعة في حقيبة السيارة.. ثم وهو يخرج تلك الحقيبة من السيارة تكون مفتوحة فيقع ما بها على الأرض.. وهو عبارة عن أكياس مليئة بمادة تشبه الدقيق الأبيض.. ومن بين الواقفين يجب أن يقترب شخص ويحاول معرفة هذه البودرة.. ثم يصيح في ذعر أن هذا هيروين.. وقد أدى محمد هذا الدور أيضاً ببراعة"..

قال العقيد لمحمد : "يبدوا أن المحقق سامي لا يستغني عنك أبداً"..

قال سامي : "صدقت يا سيادة العقيد"..

"تابع لو سمحت"..

قال سامي : "بعد ذلك يتم إخطار الشرطة بهذه المخدرات.. ويتم القبض عليّ.. وأهرب قبل أن تتم محاكمتي.. وتساعدني أنت في الهروب يا سيادة العقيد..

- الخطوة التالية أن تتحدث عني الصحف بمبالغة فوق الوصف.. ولم يكن ذلك صعباً عليّ.. لكنه كان مكلفاً جداً جداً..
- بعد ذلك أسعى - كمصطفى- للانتقام من الشخص الذي تسبب في سجني وخسارتي للمخدرات.. وهو مراد أبو السعد.. فأرسل له رسالة تهديد ألاً لأتلاعب بأعصابه..
- ثم أحدثه عبر الهاتف.. كي أتواصل مع فتحي الموجود في قصره.. وبالطبع سيحاول فتحي معرفة مكاني من خلال عميله الموجود في شركة الاتصالات"..

قال العقيد : "لكن كيف عرفت أن فتحي مختبئ لدى مراد في القصر؟.. ولماذا لم تخبرنا بأنه هناك كي نقبض عليه؟.. ثم كيف عرفت أنه سيتحدث معك ؟"..

"في البداية فتحي سيكون مختبئاً في قصر- مراد لأن هذا الأخير لديه حصانة ولا يستطيع أحد تفتيش منزله.. كما أنه بعيد تماماً عن الشبهات.. بالإضافة إلى أنني حين كنت في النفق.. لاحظت من خلال طريقة كلامه مع مراد أنه شديد الصلة به.. ولم أخبركم أنه في القصر لأنكم لم تكونوا لتقبضوا

عليه هنـاك أبـداً.. لأن القصر- كـان مجهـزاً بـلا شـك بغـرف وممرات سرية تمكن لـه الهـروب.. لأن مجرمـاً كفتحـي لـن يجلس في القصر إلا إن كان واضعاً في حسبانه خطـة هروبـه في أي لحظة.. وبالنسبة لمعرفتي أن فتحي هو من سيتحدث معـي.. فـذلك لأني متأكـد أن مـراد لا يملـك مبلـغ خمسـين مليون دولار.. لذا سيلجأ إلى فتحي.. بالإضـافة إلى أن فتحـي كما قرأت عنه هو إنسان لديه كبرياء حاد.. ولديـه أيضـاً مـا يسمى جنون العظمة.. لهذا السبب أطلق على نفسه ألقاب مثل إله الجريمة والملك الأوحد.. لذا حـين يقـرأ في الجريـدة أن شخصاً آخر صار في نظر الجميـع هـو ملـك الجريمـة وأن زمنه قد ولى.. فبالتأكيد سيسعى للتخلص من هذا الشـخص الذي أخذ منه الأضواء.. والطريقة الوحيدة لفعـل ذلـك هـو أن يستدرجه حتى يوقعه في الفـخ.. ثـم يقضي- عليـه حتـى يظل محتفظاً بمركزه في القمة"..

قال محمد : "لكنه ربما أوقعك في الفخ.. وطلب من مراد أن يقتلك .. ويظل هو بعيداً عن الصورة"..

"مستحيل.. لأنني علمت أن فتحي يقتل كـل مجـرم يحـاول أن يصير زعيماً أو كبيراً للمجـرمين.. كـما أنـه يسـجل فيـديو يظهر فيه وهو يقتل هذا الذي يحلم بالزعامـة.. وقـد فعـل

ذلك مع مجرمين غاية في الخطورة.. أبـرزهم مالـك النـوري.. أحد أخطـر زعـماء المافيـا في العـالم.. ويقـال أن فتحـي كـان ساعده الأيمن"..

قال العقيد : " وكيف عرفت أنه سيحاول معرفة مكانـك ؟.. وكيف عرفـت هويـة الشـخص الـذي يعمـل معـه في شركـة المحمول؟"..

"أنسيت أن فتحي قد ألقي القبض عليه المـرة الماضـية حـين كان يحاول أن يتحدث مع عميله في شركة الهـاتف.. وأنكـم لم تعلموا هوية عميله هذا؟.. حسناً أنا علمـت هويـة هـذا العميل"..

صاح العقيد : "حقاً؟.. كيف؟"..

"انه أول شخص أخذ إجازة طويلة وسافر خـارج الـبلاد بعـد القبض على فتحي.. ثم انه قطع إجازته.. وعـاد لعملـه فـور هروب فتحي مـن السـجن.. وهـو يـدعى شريـف محسـن.. وهو الذي كان يستخدمه في معرفـة هويـة ومكـان عمـلاءه داخل مصر"..

قال محمد : "ولكن كيـف اسـتطعت أن تتحـدث إليـه مـن داخل قصر مراد؟"..

"لم أدخل القصر في هذا لوقت أصلاً"..

"لكن عامل الهاتف أخبره بأن المكالمة واردة من القصر"..

"هذا لأنني كنت أتحدث من شركة الهاتف.. وحين طلب من عامل الهاتف معرفة من أين تصدر المكالمة.. طلبت منه أن يخبره بأنها تصدر من عنوان القصر- الذي يملكه مراد.. وكان هناك ثلاثة من رجال الشرطة متنكرين في زي رجال العصابات ويصوبون أسلحتهم نحو رأس هذا العامل"..

قال العقيد : "لم يكن هناك داع لجعل رجال الشرطة يتنكرون كرجال عصابات.. فهو حين سيرى الشرطة فوق رأسه سيضطر إلى الامتثال لأوامرك"..

قال سامي : "لو رأى رجال الشرطة فلن يجرؤ على خداع سيده فتحي كما أريد.. لأنه يعلم أن رجال الشرطة لن يقتلوه.. وإنما سيكتفون بالقبض عليه.. أما حين رأى رجال عصابات.. ويصوبون أسلحتهم إلى رأسه.. كان على يقين من أنهم لن يترددوا في تفجير رأسه إن لم يمتثل لأوامري.. لهذا فعل ما طلبته منه دون أي خطأ.. ثم إنني أمرتهم بإلقاء القبض عليه.. وعزله في زنزانة وحده.. وتشديد الحراسة

عليه.. حتى لا يستطيع أن يتواصل مع فتحي بأي طريقة كانت"..

فكر العقيد قليلاً ثم قال : "يبدو أنك حسبت حساباً لكل شيء"..

قال محمد : "وكنت تظن أنه مجرد هاوِ!"..

قال سامي : "على كل حال.. حين ذهبت إلى قصر مراد.. كنت أعلم أن فتحي لم يتوقع زيارتي المفاجأة له.. وكنت قد طلبت منك أن تختار لي أكفأ وأقوى رجال الشرطة.. وتجعلهم يتنكرون في ملابس سوداء.. ويرتدون أقنعة من ذات اللون.. وأنا شاكر لك جداً يا سيادة العقيد لأنك أتيتني بجنود على درجة عالية من البأس والاحترافية"..

"لقد قمت بواجبي وحسب"..

تابع سامي : "حين جلست مع هؤلاء الجنود.. وشرحت لهم الخطة.. لم يتذمر أو يعترض أي منهم.. وإنما قاموا بما هو مطلوب على أكمل وجه.. لذا حين جعلت فتحي ينظر لهم من النافذة.. اعتقد أنهم من المرتزقة المحترفين بالفعل.. لذا شعر بالذعر الشديد.. فهو حريص كل الحرص على حياته.. ويعلم يقيناً أن المرتزقة يفعلون أحد أمرين فقط .. إما أن

يسفكوا الدماء.. وإما أن يسفكوا الدماء!.. لذا كان انصياعه لي أمراً بديهياً"..

قال محمد : "ولكن كيف نجحت في إخراجه من القصر"..

"لقد طلبت منه الخمسين مليون التي أخبرني بأنها في حوزته وحين صارحني بأنها ليست معه.. أخبرته بأني سآخذه رهينة إلى أن يأتي مراد بهذا المبلغ.. مضافاً علية عشرة ملايين أخرى عقاباً لإخلافه وعده.. وإن رفض ذلك فسينسف رجالي القصر بمن فيه نسفاً"..

سأل العقيد : "وماذا فعل؟"..

"وافق مرغماً.. وها هو في الزنزانة الآن"..

قال محمد : "المهم يا سيادة العقيد ألا يهرب مجدداً.. سيكون في ذلك خطراً على حياة سامي"..

ضحك العقيد وقال : "يهرب؟!! الموت أقرب له من رؤية الشمس من جديد.. سينفذ فيه حكم الإعدام بعد ثمانية أيام.. سيكون خلالها تحت الحراسة المشددة"..

قال سامي : "كم أتمنى لو ينفذ فيه حكم الإعدام الآن.. على كل حال.. يجب أن نعلن عن خبر هروب فتحي.. وإعادة الإمساك به من جديد"..

سأل محمد : "ولماذا يا سامي؟"..

"حتى يتمكن العقيد طارق من إثبات التهمة على مراد.. وبالتالي إصدار أمر برفع الحصانة عنه.. والقبض عليه"..

تنهد العقيد في استسلام ثم قال : "حسناً.. سأعلن عن هروبه.. لكن أتمنى ألا يكون مراد قد فر قبل إصدار الأمر بالقبض عليه"..

ابتسم سامي وهو يقول : "لا تقلق بهذا الشأن.. لحظات وسيأتيك مراد إلى هنا وأنت جالس في مكانك"..

وما كاد سامي يتم عبارته حتى طرق الباب.. فقال العقيد : "ادخل"..

دخل جندي من الباب.. وألقى التحية العسكرية لسامي.. فتنحنح العقيد فأدرك الجندي أنه ألقى التحية على الشخص الخطأ.. فضحك سامي وقال له : "لا بأس هذه المرة يا رجل.. المهم.. هل فعلت ما أمرتك به؟"..

"أجل يا سيدي"..

ثم خرج للحظة واحدة.. وعاد ممسكاً بمراد.. قال العقيد طارق : "أهلاً.. ماذا لدينا هنا؟"..

قال مراد وقد بدا الضيق عليه : "ما الذي يحدث هنا؟.. لماذا أنا هنا؟.. ألا تعلمون من أنا"..

قال سامي وهو يبتسم : "وأنت يا مراد.. ألا تعلم من أنا؟"..

أمعن مراد النظر في سامي.. لكنه لم يتذكر أنه رآه من قبل.. فبدل سامي صوته وتكلم بصوت يعلمه مراد جيداً وقال : "هل أحضرت أموالي يا مراد!"..

اتسعت عينا مراد من الدهشة.. قال وما زال الوجوم سمته : "أنت مصطفى؟!!"..

قال محمد : "بل هذا هو المحقق سامي الجمل يا سيادة النائب"..

فجأة.. اندفع سامي نحو مراد.. فشحب وجه مراد وشعر بالفزع.. ثم إن سامي قد ابتسم ووضع يده في جيب سترة مراد وأخرج منه ورقة.. وناولها للعقيد..

"ما هذه الورقة يا أستاذ سامي؟"..

"هذه الورقة مكتوب فيها عنوان البنك الانجليزي الذي فيه الحساب السري لفتحي.. وأيضاً هذا هو رقم الحساب.. أعتقد أنك ستجد مليار دولار على الأقل في هذا الحساب..

يمكنك الآن أن تحصل على أمر كتابي من النائب العام برفع الحصانة عن مراد"..

نظر العقيد إلى مراد مبتسماً وقال له : "سيتشرف السجن كثيراً بإقامتك فيه"..

ثم قال للجندي الذي أتى به : "ضعه في الحبس الآن"..

وبعد أن انصرف الجندي ومعه مراد.. قال العقيد : "لا أعلم كيف أشكرك يا أستاذ سامي.. لقد أمسكت بالمجرم الأخطر في الشرق الأوسط .. وأهديتنا حساباً بنكياً بالملايين إن لم يكن بالمليارات.. كيف يمكنني أن أرد لك هذا الجميل؟"..

قال سامي : "أعتقد أن اثنان ونصف بالمائة من حساب فتحي ستفي بالغرض"..

صاح العقيد : "اثنان ونصف بالمائة؟!!! أليس هذا كثير؟!!!"..

قال محمد : "لقد أنفق سامي الكثير من المال في سبيل إلقاء القبض على فتحي.. كما أهداكم مجرمين آخرين هما مراد أبو السعد.. عضو مجلس النواب.. و عامل الهاتف شريف محسن الذي يعمل لحساب فتحي.. بالإضافة إلى المجهود الجبار الذي بذله.. وهو الذي أهداكم هذا الحساب البنكي

السري بما فيه من أموال.. وأعتقد أنه يستحق عشرة بالمائة من قيمة هذا الحساب.. إلا أنه رضي باثنان ونصف فقط"..

ابتسم العقيد وقال : "معك حق يا أستاذ محمد.. إن المحقق سامي يستحق بالإضافة إلى هذا المبلغ أن ينصب له تمثال"..

قال سامي : "لا.. سأكتفي بالمال مؤقتاً"..

***

(١٠)

الساعة الثامنة صباحاً.. رن جرس الباب.. رنينه كان متواصلاً.. فزع سامي من نومه.. وذهب وفتح الباب..

"ما الأمر يا محمد؟"..

قالها سامي وهو يتثاءب.. فقال محمد : "ألم تسمع الأخبار أو تقرأ الصحف اليوم؟"..

"لقد استيقظت لتوي"..

قال محمد : "انه فتحي يا سامي"..

"ماذا به؟.. المفترض أنه سيعدم اليوم"..

"لقد هرب فتحي"..

"اتسعت عينا سامي من هول المفاجأة : "ماذا تقول؟!"..

"لقد هرب فتحي"..

وفي تلك اللحظة.. رن جرس الهاتف.. لأول مرة يشعر سامي أن رنين الهاتف مرعب إلى هذا الحد.. اقترب ببطيء من الهاتف.. وضع السماعة على أذنه : "مرحباً"..

أتته ضحكة مجلجلة عبر الهاتف.. ثم قال محدثه : "كنت تظن أنني سأرحل عن الدنيا بهذه السهولة؟!.. يا لك من أحمق"..

ازدرد سامي ريقه.. ليست تلك أول مرة يشعر فيها بالخوف.. لكنها أول مرة يفزع فيها لهذا الحد.. سأله بصوت خافت : "ماذا تريد مني؟"..

"أريد استعادة أموالي.. بالإضافة إلى.. رأسك".....

***

تمت بحمد الله